IUGJHR
Vol 25, No2, 2017, pp 103-118

ISSN 2410-3179

تاريخ الإرسال (2017-01-09)، تاريخ قبول النشر (2017-03-13)

موقف العـــــراق العُثمانـــي من الدولة السعودية الأولى 1745م-1818م

د. أحمد محمد حسن الطراونة [1,*]

د. صالح علي الشورة [2]

[1] أستاذ مساعد بجامعة الأميرة سمية للتكنولوجية- كلية الملك طلال للأعمال

[2] استاذ مشارك/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية/ كلية الآداب والعلوم/ قسم التاريخ والحضارة الإسلامية.

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

e-mail address: a.tarawneh@psut.edu.jo

الملخص:

ترصد هذه الدراسة الثابت والمتحول في العلاقة بين الدولة السعودية الأولى 1745- 1818 والعراق العثماني، بحيث تبدء الحديث عن الأجواء العامة لنشأة الدولة السعودية الأولى في ظل تردي أوضاع الدولة المركزية العثمانية. وتسهب في الحديث عن الظروف التي هيأت لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتحالفه مع السعوديين في نجد. ثم تتناول العلاقة السعودية مع العراق العثماني بمكوناته المختلفة، وتداخل العوامل الجيوسياسية المتنوعة. فتتدرج في شكل العلاقة التي بدأت مترقبة بين الطرفين ثم ألت إلى الحرب. وتنتهي الدراسة إلى نتيجة مفادها عدم سيطرة أحد الطرفين على الأخر، وعجز ولاة الدولة العثمانية في العراق العثماني عن وضع حد للنفوذ السعودي على المناطق المجاورة، مما دعا العثمانيين لاستدعاء قوى أخرى للقضاء على الدولة السعودية الأولى.

كلمات مفتاحية:

الدولة السعودية الأولى، العراق العثماني، الدولة العثمانية، الحركة الوهابية.

The Ottoman Iraqis position towards The first Saudi State between the years (1745-1818)

Abstract

This study investigates the constant and the variable between the First Saudi State 1745-1818 and the Ottoman Iraq. The study begins discussing the overall conditions for the emergence of the First Saudi State in the time when the Ottoman state was declining. It elaborates on the conditions that led to the emergence of Sheikh Mohammed Bin Abdel-Wahhab and his alliance with the Saudis in Najd. Then, the study tackles the relationship between Saudi Arabia and Ottoman Iraq with all its various components along with the geopolitical factors. So, it shows how the relationship started with caution from both sides and how that triggered war between them. The study concludes that none of the two parties had dominated the other as well as the inability of the Ottoman rulers to stop the Saudi power and dominance on the neighboring territories. This, in turn, led to the ottomans to call other forces to help in turning down the First Saudi State.

Keywords:

First Saudi State , Ottman Iraq , Ottman State, Wahabbi Movement

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى رصد الثابت والمتغير في المشهد السياسي الذي سيطر على علاقة الدولة السعودية الأولى بالقوى المحيطة بها، فعلاقة العراق العثماني بشكل خاص بالسعوديين ليست بعيدة عن النهج السياسي الذي اتبعته الدولة العثمانية بشكل عام تجاه الدولة السعودية الأولى. حيث انضوت معظم أقاليم الجزيرة العربية تحت مظلة السيادة العثمانية بدرجات متفاوتة، وقد عمت الفوضى والاقتتال بين مناطق الحجاز، مما أدّى إلى ضياع الأمن وفقدان الاستقرار، وأصبح حجاج بيت الله الحرام عرضة للنهب والسلب في كثير من الأحيان[1]. أما نجد فقد كانت العلاقات بين القبائل سيئة بصفة عامة، وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينها من نزاع اتباعاً للمثل المشهور: "تجد لمن طالت قناته"[2] إذ كانت عبارة عن مجموعة من إمارات مدن وتجمعات قبلية متناحرة، يغزو بعضها الآخر طلباً للثأر أو التنافس على مرعى أو ما شابه ذلك. وقد عادت الجزيرة العربية بسبب البدع والخرافات إلى ما يشبه الجاهلية الأولى، فظهرت الوثنية بشتى صورها وأشكالها من تقديس أشجار وأحجار، وأصبحت قبور الأولياء والصالحين مزارات حج وتقديس، وعمّت الجهالة والشعوذة، حتى ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية داعياً الأمة إلى العودة إلى منابع الإسلام الصحيح، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لاستجلاء أهم المحطات في علاقة الدولة السعودية الأولى بالعراق العثماني، كخطوة ضرورية للاطلاع على المشهد السياسي الذي تشكل بفعل توسع آل سعود في المنطقة.

نشأة الدولة السعودية الأولى.

يؤرَّخ لقيام الدولة السعودية الأولى عادة مع التحالف الذي قام به أمير الدرعية، محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة أو الحركة الوهابية عام 1745م، الذي عُرف باسم "اتفاق الدرعية". وكانت الحركة الإصلاحية الوهابية[3] قد ظهرت في الجزيرة العربية منذ عام1156هـ/ 1744م، لمقاومة التسلط العثماني من جهة، ومحاربة البدع المخالطة لنقاء العقيدة السلفية الإسلامية من جهة أخرى[4]. وكانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[5] وليدة علوم كثيرة، تلقاها من حواضر العلم في الجزيرة العربية وخارجها؛ حيث درس مشكلات المسلمين الدينية والدنيوية، واطلع على تيارات الفقه والتصوف والفلسفة وعلم الكلام. وقد صقلت أسفاره المتعددة وعلومه المتنوعة تفكيره، وأمدته بثقافة واسعة والتي استندت في أصولها على

(1) – السباعي، تاريخ مكة، (ص27– 33).

(2)– العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، (ج1/48)

(3)– الوهابية: نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبدالوهاب (1115– 1206هـ/ 1703– 1791م) وجاءت هذه التسمية من أعداء الدعوة ومعارضيها. فلم يكن استعمال الوهابية مرضياً ولا شائعاً عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر السلفيين أهل السنة والجماعة، وكان كثير من المنصفين من غيرهم والمحايدين يتفادى إطلاق هذه التسمية عليهم؛ لأنهم يعلمون أن وصفهم بالوهابية كان في ابتدائه وصفاً عدوانياً إنما يقصد به التشويه والتنفير بين بقية المسلمين من العوام، وأتباع الفرق والطرق. علماً بأن أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بادئ الأمر كانوا يطلقون على أنفسهم لقب "الموحدين" و " المسلمين" و " الطريقة المحمدية" ويتبعون مذهب الإمام أحمد بن حنبل وساروا على نهج ابن تيمية الذي هاجم التزلف بالأولياء وزيارة القبور وتعظيمها. وقد أخذ المؤرخون والباحثون بهذه التسمية التي انتشرت فيما بعد وأصبحت هي الشائعة. أنظر: الرويشد، الوهابية حركة الفكر والدولة الإسلامية، (ص10– 11)

(4) – الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (1930م – 1970م)، (ص7)

(5)– محمد بن عبد الوهاب: هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ولد سنة 1115هـ/ 1703م، في العيينة قرب الرياض. تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وقرأ على أبيه في الفقه، وتذكر مصادر الترجمة أنه كان مشهوراً حينئذ بحدة ذهنه وسرعة حفظه وحبه للمطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام. وهكذا نشأ محمد بن عبد الوهاب فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق معرفته، ومكتبة جده القاضي سليمان بن علي بأيديهم. توجه محمد ابن عبد الوهاب للرحلة في طلب العلم فرحل إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة، طلباً للعلم. ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام، ثم عاد إلى نجد يدعو الناس إلى التوحيد. تفقه الشيخ على المذهب الحنبلي وتلقاه على يد والده بإسناد متصل ينتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل. كما تلقى علم الحديث النبوي ومروياته الحديثية لجميع كتب السنة كالصحاح والسنن والمسانيد وكتب اللغة والتوحيد وغيرها= من العلوم عن شيخيه: العلامة عبد الله الفرضي الحنبلي، والمحدث محمد حياة السندي. أنظر: ابن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، (ج2/ 25)؛ ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، (ص6).

افكار الإمامين أحمد بن حنبل، وتقي الدين بن تيمية وتلامذتهما، والتأثر الشديد بمؤلفاتهم[6].

جاءت الدعوة الوهابية كرد فعل ديني قوي في الجزيرة العربية، إبّان الحكم العثماني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة[7]. وكان من جملة الأسباب التي دفعت الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى إعلان دعوته والجهاد في سبيلها الرغبة في تنقية الإسلام مما علق به من شوائب البدع والخرافات بجميع صورها وأشكالها، وبث الروح الإسلامية المستمدة مباشرة من القرآن الكريم الذي يُعتبر المصدر الأساس للشريعة والنظرة الإسلامية إلى الكون والحياة، والدعوة إلى التوحيد القرآني الأصيل، ومحاربة التقليد والتأويل، والمناهج الفلسفية في فهم العقيدة[8]. وكأي حركة أو دعوة جديدة تظهر كان لا بد أن يكون لها نصيب من التنظيم والتخطيط والخطاب الذي تستند عليه، حتى تستطيع أن تبلُغ الهدف المنشود، وأن تجمع أكبر عدد من المؤيدين، لذا كان لا بد لمؤسس الحركة الوهابية أن يدّعم الجانب النظري للدعوة بالاستعانة بقوة سياسية وحربية لضمان انتشار مبادئها على الأرض، فالنظريات والمثل العُليا لا تستطيع أن تنتصر بقوتها وصدقها فقط، بل بقدر ما يؤيدها من قوى سياسية واقتصادية وعسكرية، ومن أجل ذلك اتصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأمير الدرعية محمد بن سعود بعد أن لاقت دعوته عدم القبول من قبل بني خالد في الاحساء في بداية الدعوة وتعاقد معه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد، ونشر الدعوة في جزيرة العرب " باللسان عند من يقبلها، وبالسيف عند من يرفضها، على أن يكون لأبن سعود السياسة وللشيخ محمد بن عبدالوهاب الدعوة [9]. وبهذا الاتفاق أدرك ابن سعود أن مناصرته لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تمكنه من توسيع منطقة نفوذه في حين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أدرك بأن اتفاقه مع ابن سعود سيمكنه من نشر دعوته، خاصة وأن الدعوة كانت تسبق الحرب والغزو[10].

أصبحت الدرعية، بذلك، تمثل البيئة المناسبة لاحتضان الدعوة الوهابية لعدة أسباب أهمها: سيطرة آل سعود عليها بشكل كامل، الأمر الذي شكل نوعاً من الاستقرار السياسي، ولبعدها عن أنظار السلطة العثمانية المركزية، خاصة مع تقلص النفوذ العثماني في جزيرة العرب في تلك الفترة، علاوة على بعدها عن القوى الخارجية، أو القريبة المجاورة، مما هيأ لها فرصة نشر الدعوة، والاستقلالية في اتخاذ القرار دون أن تؤثر فيها قوى أخرى[11]. بدأت الدرعية علاقاتها مع جيرانها بشكل جيد، الأمر الذي مكّنها من نشر دعوتها بكل يُسر وسهولة في مراحلها الأولى استعداداً للمراحل العسيرة القادمة[12]. كما كان للارتباطات العلمية القوية التي أوجدها محمد بن عبد الوهاب مع بعض وجهاء الدرعية، وفي مقدمتهم أخوا الأمير محمد بن سعود: مشاري وثنيان، وابنه عبد العزيز،[2] أثرها في تعزيز مسيرة الدعوة وتحقيق النجاحات في بداياتها.

كانت الدولة العثمانية عند ظهور الدولة السعودية الأولى في وضع لا تُحسد عليه، بسبب الهزائم المتوالية التي مُنيت بها في أوروبا. فقد اجتمعت شعوب تلك القارة وحكوماتها لطردها من القارة المذكورة، خاصة في حربها مع روسيا (1768–1774) ، حيث مُني العثمانيين بهزيمة ساحقة، نتج عنها خروجهم من تلك القارة بشكل شبه كامل، ولم يبق بأيديهم سوى ولاية أدرنة وبعض المناطق الأخرى بجوار عاصمتهم [13]. أمّا فيما يتعلق ببلاد نجد وما جاورها؛ فإن الدولة العثمانية في تلك الفترة لم تعرها أهمية تُذكر، وربما تعود سياستها هذه، تجاه بلاد نجد، إلى سعة أراضي نجد وامتدادها داخل الصحراء من ناحية، والانتشار الواسع لقبائل نجد وعشائرها في

(6) – ضاهر، الدعوة الوهابية، (ص7)؛ محمد، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره، (ص345).

(7) – ضاهر، الدعوة الوهابية، (ص39).

(8)– المرجع نفسه، (ص27).

(9) – المرجع نفسه، (ص191– 192).

(10) – .مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، (ص39).

(11) – الدامغ، تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى، (ج3/ 29).

(12) – المرجع نفسه، (ج3/ 29).

(2)– ابن غنام، تاريخ نجد، (ج2/ 222).

(13) – للتوسع في هذا الموضوع أنظر: المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، (ص341– 410).

الصحراء من ناحية أخرى. فقد ضمت بلاد نجد وحدها؛ عدة قبائل من أمثال قبيلة عنزة وفروعها من بني وهب، والجلاس، والرولة، وبشر، وقبيلة شمر، وحرب، ومطير، وعتيبة، وسبيع، وقحطان، وعجمان، وآل مُرة. ولا شك أنه من الصعوبة بمكان؛ توحيد هذه القبائل وجعلها قوة تستطيع من خلالها الدولة العثمانية الاعتماد عليها في مرحلة ضعفها وشيخوختها[14]. وازاء الاوضاع العثمانية المتردية في شرق أوروبا، وتشتت جهود الدولة العثمانية في جبهات متعددة، وتربص القوى الأوروبية بها، جاءت الدعوة الوهابية والدولة السعودية لتشكلان تحدياً دينياً وسياسياً للدولة العثمانية، كما غدى من المستحيل اخضاع القبائل النجدية المتناثرة في صحراء نجد بشكل فعلي وتوظيفها في خدمة الدولة العثمانية، وزيادة قوتها، بل على العكس من ذلك، حيث بذلت الدولة العثمانية جهوداً كبيرة لمواجهة الخطر النجدي والقضاء عليه.

1– بدايات الأزمة العثمانية السعودية.

ظل موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الناشئة، يختلف باختلاف المكان الذي امتدت فيه الدعوة والدولة. حيث نظرت الدولة العثمانية إلى الدولة السعودية الأولى، والدعوة الوهابية في بداياتها، وهي في نجد، على أنها انتفاضة بدوية داخلية في منطقة نائية معزولة محدودة الأثر والتأثير، خاصةً أن نجد من وجهة نظر الدولة العثمانية تعد إقليماً بعيداً عن مراكزها الإستراتيجية[15]. وكانت الدولة السعودية نفسها، تتحاشى الصدام مع العثمانيين، فحين سيطر آل سعود على الأحساء كانوا يركّزون في مخاطباتهم للسلطان العثماني على أنهم لم يتعرضوا لأملاك الدولة العثمانية، لأن الأحساء خارجة عن حكمها منذ عام 1080هـ/ 1670م[16].

وقد استهانت الدولة العثمانية بدايةً بالدعوة الوهابية وبقدرتها على الانتشار والاستمرار، خصوصاً أنها بدت ضعيفة في إمكانياتها وقوتها أمام المعارضة المحلية والخارجية على السواء، وقدّرت الدولة العثمانية أن هذه المعارضة قادرة على مواجهتها[17]. ويُستدل على ذلك بالرسالة التي أرسلها شريف مكة مسعود بن سعيد (1734–1752م) إلى الباب العالي عام 1752م يخبره فيها بظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والأفكار التي يطرحها، وذكر له أن علماء مكة قد أفتوا بوجوب قتاله إن لم يرجع عن دعوته. وقد ردت عليه الدولة العثمانية بكتاب جوابي طلبت منه فيه إقناع هذا الشخص " الشيخ محمد بن عبد الوهاب" بالعدول عن مذهبه[18]. وحين تكررت الرسائل الموجهة للسلطان العثماني من ولاته وخاصة من شريف مكة، كتب السلطان في إحدى الرسائل: " لقد سبق في كثير من القضايا المهمة أن قيل في أول الأمر، لا شيء يستاهل الذكر هناك، ثم نشأت آلاف المحن والمهالك، فعلى هذا ينبغي أن يُتابع هذا الأمر بدقة ويُكشف عن كنهه". وبناءً على أوامر السلطان العثماني، أولى مجلس النظار اهتمامه بهذا الموضوع[19]، وبناءً على المراجعات التي أجرتها الدولة العثمانية بهذا الخصوص؛ تولّد لديها انطباعاً بأن الدعوة الوهابية والدولة السعودية تشكلان تحدٍ ديني وسياسي لها، وإزاء هذا القلق، أوكل السلطان العثماني مهمة التصدي لهذا الخطر إلى الولاة العثمانيين، كوالي جدة ووالي بغداد للوقوف في وجه هذا التحول القائم في أرض الجزيرة[20].

2– لمحة تاريخية عن العراق العُثماني:

يمثل اصطلاح "العراق العثماني" كيان جغرافي ليس له دلالة سياسية، كما أنه قليل الاستخدام. وقد درج الباحثون على استخدام أسماء المدن التي كانت ولايات أو إيالات إبّان الحكم العثماني لها. فانقسم العراق إلى أربع ولايات هي، ولاية البصرة، وولاية بغداد، وولاية شهرزور، وولاية الموصل. وقد ارتبط إقليم الأحساء بالعراق بروابط خاصة بحيث غدت أحياناً ولاية خامسة أو سنجقاً تابعاً للبصرة. وانقسمت هذه الولايات مثل غيرها من الولايات العثمانية إلى

(14) – أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، (ص43).

(15) – ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، (ص329).

(16) – العثيمين، تاريخ المملكة، (ص118).

(17) – المرجع نفسه، (ص329).

(18) – جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، (ص179).

(19) – خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص319).

(20) – قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني 1745– 1914، (ص51). نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 3826)؛ الشوابكة، الجامعة الإسلامية، (ص17، 346).

سناجق[21]. واعتبرت ولاية بغداد أهم هذه الولايات، وألحق بواليها أحياناً؛ واحدة أو أكثر من المناطق الأخرى[22].

وباستيلاء الشاه اسماعيل الصفوي على العراق سنة 1508م، أصبحت الدولة الصفوية متاخمة للحدود العثمانية، ولم تكن الحدود منضبطة بين الدولتين بحيث تمنع الاشتباك بينهما، علاوة على أن مناطق الحدود مأهولة بعناصر متنوعة تتذبذب في ولائها بين الدولتين، لذلك فقد عمّت الفوضى والاضطرابات في مدينة بغداد عند مطلع القرن السادس عشر، بعد وقوعها تحت حكم الدولة الصفوية، كما اخذت الدولة الصفوية تعمل على إثارة العثمانيين بشتى الوسائل، واصبحت الدولة ملجأً لمعارضي الدولة العثمانية[23]. ونتيجة لهذة المستجدات على الساحة العراقية بدأ السلطان سليم الأول بالتخطيط لبدء صفحة جديدة من الصراع ضد الصفويين. كما كانت حوادث الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية أحدى الأسباب المباشرة التي أشعلت نار الحرب من جديد، فضلاً عن العامل الاستراتيجي المهم الذي تمثل في الاستحواذ على اقتصاديات العالم من خلال السيطرة على العراق الذي كان يُعد قلب العالم القديم. ذلك أنه يربط خطوط التجارة بين أوربا والشرق الأقصى، في الوقت الذي كان البرتغاليون يتحكمون في البحار الشرقية[24].

مر النفوذ العثماني في العراق في عدة مراحل بدأت متدرجة من الشمال باتجاه الجنوب. فقد قدّم الأكراد ولاءهم للسلطان العثماني في وقت مبكر منذ عام 919هـ/1514م، بينما بقيت بغداد والبصرة بيد الشاه الصفوي. لذلك جهّز السلطان سليم في ذلك العام جيشاً لمحاربة الصفويين، والتقى الجيشان في معركة " جالديران" التي تمكّن فيها العثمانيون من هزيمة الصفويين واحتلال عاصمتهم تبريز، وبسبب الصعوبات التموينية لم يشأ السلطان سليم أن يتوغل في بلاد فارس، لذلك لم تكن معركة جالديران معركة حاسمة بحيث تضع حداً للاطماع الصفوية في العراق، ولذلك فشل السلطان سليم في القضاء على النفوذ الصفوي بشكل تام[25]. إلا في عام 940هـ/ 1534م بعد دخول السلطان سليمان القانوني بغداد فاتحاً لها[26]. إلا أن الفرس الصفويين استعادوا بغداد مرة أخرى عام 1032هـ/ 1623م، إلى أن أعادها السلطان مراد الرابع تحت السيطرة العثمانية مجدداً عام 1047هـ/ 1638م. وقد قاسى أهل بغداد، بكل مكوناتها المذهبية، الكثير من هذه الحروب.

حكم بغداد في العهد العثماني عدد من الولاة من أصول مختلفة، وكان من بينهم الألباني والشركسي والسلافي والمجري والإيطالي والبولندي، وقد واجه هؤلاء الولاة ثورات عدة من قبل الجند العرب بحيث لم يكن يمر عام دون أن يوجه الوالي حملة ضدهم. هذا بالإضافة إلى اضطرابات الأكراد الذين كانوا يستفيدون من وجودهم على حدود فارس. ورغم انتماء عدد كبير من القبائل العربية إلى المذهب الشيعي، إلا أن علاقتهم بفارس كانت أضعف من علاقات الأكراد السنيين بها. هذا بالإضافة إلى ما حل بالعراق من أمراض، وأوبئة، وفيضانات وغيرها في تلك الفترة[27].

3- ارهاصات التوتر السعودي العراقي

تأزمت العلاقة بين السعوديين والقبائل العراقية بعد النجاح الذي حققه السعوديون في شرق الجزيرة العربية، لا سيما الاحساء، وما شكله ذلك من خطر على البصرة ومدن حوض الفرات الأسفل، خاصة بعد لجوء بعض زعماء القبائل المعارضين لحكم الدولة السعودية من مناطق نجد وحائل والاحساء مع قبائلهم إلى الجهات الجنوبية الغربية من العراق مثل منطقة الزبير وغيرها[28]، واتهام ابن سعود القبائل النازحة إلى العراق بأنها تقف وراء الاضطرابات التي تنشأ بين الحين والآخر في نجد والاحساء، خاصة قبائل المنتفق، وهي عبارة عن قبيلة واحدة، تضم مجموعة من العشائر العراقية، التي تقف إلى جانب خصوم آل سعود[29]، لذلك بدأ السعوديون بشن غارات اتخذت

(21) – سنجق: وحدة إدارية وهي مشتقة من العلم بالتركية، وبالعربية لواء. أنظر جب وبون، المجتمع الإسلامي والغرب، (ص197).

(22) – غرايبة، تاريخ العرب الحديث، (ص54-55).

(23) – آل عمر، الخليج العربي، تاريخه السياسي وعلاقاته بدول الشرق العربي، (ص139-140).

(24) – الجميل، تكوين العرب الحديث، 1997. (ص93).

(25) – رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798، (ص97).

(26) – غرايبة، تاريخ العرب، (ص54-55).

(27) – المرجع نفسه، (ص55).

(28) – فلبي، تاريخ نجد، (ص99).

(29) – العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، (ج154/1).

شكل حملات عسكرية خاطفة على مناطق العراق الجنوبية في محاولة لنشر الدعوة الوهابية، والقضاء على خصومهم، وتطهير الجزيرة العربية من البدع والخرافات، والحصول على المغانم المادية[30].

قادت هذه الأحداث إلى تدخل السلطات العثمانية في الصراع الدائر في العراق على الحدود مع الدولة السعودية الأولى، وقد أدت سياسة الدولة العثمانية الداعية إلى القضاء على أنصار الوهابيين والسعوديين، من خلال العراق، إلى تطلع السعوديين نحو العراق نفسه. وقد شجع على هذا الأمر، الخلاف المذهبي بين الطرفين، ففي العراق يكثر أهل الشيعة، وتوجد به المزارات المقدسة لديهم. وكان أتباع دعوة محمد بن عبد الوهاب، يرون في المشاهد والمزارات، إحياء وتجسيد للوثنية، خاصة وأن محمد بن عبدالوهاب أقام في البصرة أثناء رحلاته العلمية، وبدأ بالمجاهرة بدعوته فيها، ثم عاد إلى نجد وبدأ نشر دعوته فعلياً[31].

سارع الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود بإرسال رسالة إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد[32]، وكانت الرسالة مصحوبة بنسخة من كتاب محمد بن عبد الوهاب " التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، طالباً منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في الكتاب والأخذ بما جاء فيه، وقام سليمان باشا الكبير بإسناد دراسة الكتاب إلى بعض علماء بغداد، وبعد الفراغ منه، أنكر علماء بغداد دعوة الشيخ وتعاليمه. وجاء في ردهم: "فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه؛ وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل، مشتملاً على عدة رسائل، لكنهُ قد جُمع فيه بين غث وثمين، وقوي ووهين، ووجدنا أحواله، أحوال من عرف من الشريعة شطراً، ولم يمعن فيها نظراً، ولا قرأ على أحد ممن يهديه إلى النهج القويم، ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم"[33]. وقد حددت بغداد في هذا موقفها الرسمي من الدعوة الوهابية وأتباعها، الأمر الذي ساهم في تعهد والي بغداد بحماية معارضي الدعوة الوهابية[34]. مما أدى إلى توجه أنظار آل سعود، بعدها، إلى العراق من أجل تحقيق أهدافهم السياسية والدينية، بالإضافة إلى رغبتهم في الاستيلاء على كثير من الثروات التي توجد في العراق، وخاصة في مزارات الشيعة، حيث كان العراق آنذاك أكثر رخاء من غيره من الأقطار المجاورة[35].

كان مما شجع آل سعود على العمل من أجل تحقيق تطلعاتهم نحو أجزاء العراق الداخلية، هي أن ظروف الأخيرة كانت مشجعة للسعوديين للقيام بعملياتهم العسكرية داخل الأراضي العراقية. فحكم بغداد في ذلك الوقت، كان بيد سليمان باشا الكبير، الذي واجه ثورات مستمرة من جانب العشائر العربية والكردية على السواء؛ بدافع رغبتهم في التخلص من السيطرة العثمانية المباشرة، بدعم وبتشجيع من الحكومة الفارسية لبعض العشائر، وقد شكلت هذه الثورات مصدر إزعاج لوالي بغداد. ورغم مرونة شخصية سليمان باشا، وسياسته الحكيمة التي تمتع بها ومحاولته كسب ود العشائر. إلا أن كثرة هذه الاضطرابات استحوذت على معظم جهوده، واستنزفت الكثير من موارده. هذا بالإضافة إلى أن النفوذ البريطاني في تلك الفترة؛ ازداد في العراق بشكل ملحوظ، ولم يعد قاصراً على حماية السفن الإنجليزية من هجمات القوى العشائرية العربية على جانبي نهر دجلة، بل تطور إلى استخدام قوتهم البحرية ضد حكام العراق إذا ما اتخذوا موقفاً معادياً للمصالح البريطانية، وليس هناك شك في أن هذا الوضع قد شجع آل سعود على الاستمرار في مواصلة عملياتهم ضد الأراضي العراقية[36]، حيث أصبح دعاة الدعوة الوهابية يتسللون إلى داخل العراق لنشر تعاليمها، التي انتشرت في بعض المدن العراقية، وأصبح لها رواج عند أهل البلاد، خاصة السنة منهم[37].

(30) – ابن بشر، عنوان، (ص81)؛ أبو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، (ص141– 142).

(31) – العثيمين، تاريخ المملكة، (ص154).

(32) – يُطلق الكبير عليه تمييزاً له عن سليمان باشا الصغير الذي حكم بغداد في الفترة (1808م – 1810م) تحت السيادة العثمانية أنظر: ابن عبدالوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص 15).

(33) – المرجع نفسه، (ص 16).

(34)– ياغي، العلاقات السعودية العراقية، 1920– 1958، (ص 369).

(35) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص177– 178).

(36) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص179– 181).

(37) – الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (ص 74– 75).

قاد ثويني بن عبد الله، زعيم عشائر المنتفق بدعم وتوجيه من والي العراق[38] حملة على القصيم عام 1201هـ/1786م الأمر الذي ساهم في ازدياد حدة الموقف بين ولاية العراق العثمانية ونجد، وصارت سبباً من أسباب الاحتكاك المباشر بين الدولة السعودية وبين قبائل المنتفق والظفير في جنوب العراق. خاصة بعد أن استولى ثويني على بلدة "التنومة" عنوة، وقتل الكثير من أهلها. ثم حاصر "بريدة" ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها، حينما سمع بوقوع الاضطرابات في بلاده البصرة، فعاد إليها مسرعا وتمكن من احتلال حاميتها وحكمها مستقلاً لمدة ثلاثة أشهر، إلا أن والي بغداد سيطر على البصرة وأودع ثويني السجن [39].

أصبح السعوديون ينظرون إلى العراق العثماني على أنه يشكل المركز الرئيس الذي تنطلق منهُ الحملات العسكرية العثمانية ضد دولتهم[40]، وأنه لا بد من الاحتكاك المباشر لمنع استنزاف قوتهم النامية. هذا بالإضافة إلى الاتفاق السري الذي عقده ثويني مع عبد المحسن بن سرداح، شيخ عشائر بني خالد، عدو الدعوة الوهابية اللدود، والذي يقضي بأن ينهض هذا الشيخ بعشائره، فيأتي إلى القصيم فينضم إلى حملة ثويني ويشترك معها في القتال حتى بلوغ الدرعية التي كان احتلالها هدفهم الأساسي[41]. وتنفيذاً لهذا الاتفاق جهز بن سرداح قواته واتجه إلى نجد لقتال أهلها، ولكنه عاد من حيث أتى حين علم بانسحاب ثويني من بريدة[42].

الاصطدام المسلح بين العراق والدولة السعودية:

قامت العشائر العراقية وعلى رأسها الخزاعل والمنتفق والضفير بدور فعال في مساندة بني خالد والمدن النجدية التي طلبت مساعدة هذه العشائر ضد العمليات السعودية، وتأكد لدى الأمير عبد العزيز بن سعود أن هذه العشائر تقف وراء الكثير من الاضطرابات التي تنشب بين الحين والآخر في الأحساء، وفي بعض المدن النجدية. فأدرك الأمير عبد العزيز أنه لا بد من القيام ببعض الأعمال العسكرية ضدها؛ خاصة عشائر المنتفق التي كانت تقوم بالدور الرئيس في مساندة الثائرين ضد آل سعود[43]. لذلك توالت الغزوات السعودية ضد هذه العشائر. ومما لا ريب فيه أن آل سعود نجحوا في نقل ميدان المعركة إلى الأراضي الجنوبية من العراق، وشجعهم على ذلك استقرار الوضع لهم في الأحساء بشكل كامل عام سنة 1209هـ/ 1795م، وفي أثناء ذلك كان الضغط السعودي على الحجاز قد وصل ذروته، وكانت مكاتبات الشريف غالب/ شريف مكة في الحجاز إلى الدولة العثمانية متواصلة، حيث كان يحثها على مد يد العون له ضد السعوديين، إلا أن ظروفها الداخلية والخارجية آنذاك لم تكن تساعدها على تجنيد جيش عثماني للقضاء على الدولة السعودية، فاعتمدت في تنفيذ ذلك على باشواتها في الولايات العربية[44].

1_ حملـة ثوينـي بن عبد الله:

أرسل السلطان سليم الثالث إلى سليمان باشا الكبير عام 1204هـ/1790م يأمره بالزحف إلى الدرعية والقضاء عليها، ولكن سليمان باشا كان يقدر الصعوبات التي تواجه قواته إذا ما خاضت حرباً صحراوية ضد قوات آل سعود السريعة الحركة، والتي أتقنت الانسحاب والمناورة، بالإضافة إلى خشيته من ثورات العشائر؛ خاصة العشائر الكردية في الشمال[45]. لذلك جدد الباب العالي في العام ذاته، الطلب إلى والي بغداد للتوجه إلى الدرعية، لأنه الأقرب إليها، ولكن تبين أن سليمان باشا كان غير راغب في ذلك، وساق العديد

(38) – كانت السلطة في في جنوب العراق بيد زعيم قبائل المنتفق ثويني بن عبدالله في تلك الفترة من القرن الثامن عشر. وكانت الدولة العثمانية تسايرة خشية تمرده. فأثارت مخاوفه من توسع نفوذ الحركة السلفية نحو مناطق نفوذه وأظهرت له استعدادها لدعمه ومساعدته اذا ما عمل على الحد من نشاط السلفيين وقمعهم. انظر خزعل، حياة الشيخ، (ص330– 331).

(39) – النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، (ص405)؛ عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (700– 1340 هـ) (ص122)؛ أوبنهايم، البدو، (ج1/628).

(40) – ابن بشر، عنوان المجد، (ص73– 74)؛ النبهاني، التحفة النبهانية، (ص405)؛ أبو علية، محاضرات، (ص43– 44).

(41) – سعيد، تاريخ الدولة السعودية، (مج1/58– 59).

(42) – ابن بشر، عنوان المجد، (ص74).

(43) – لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، (ص256– 257). الوردي، لمحات اجتماعية، (ص184).

(44) – ابن بشر، عنوان المجد، (ص76)؛ خزعل، حياة الشيخ، (ص303).

(45) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص181– 183).

من الذرائع. فقد كان يدرك جيداً قوة الدولة السعودية، وأنه لا يمكنه أن ينجز هذا الأمر منفرداً، خاصة مع وجود الظروف الصحراوية القاسية التي كانت تصب في صالح القوات السعودية في المعارك[46]. وكان رد سليمان باشا على هذا الطلب بأنه منشغل بتقوية بغداد وأطرافها، ضد الخطرين الروسي والفارسي وليس لديه القدرة لإعداد حملة بهذا الاتجاه، مما دفع الباب العالي إلى الرد على هذا الخفي آواخر عام 1790م طاب بأن ما تعذر به سليمان لا يليق به، وهو المعروف بأنه والي بغداد والبصرة وشهرزور... والعظيم صاحب المقدرة والسلطة... وأخطره بضرورة التحرك بالسرعة القصوى[47]. ولعل سليمان باشا، كان يخشى أن يستغل غيابه عن بغداد؛ أحد المتطلعين إلى الباشوية. لذلك رأى أن يبحث عن رجل مناسب نيابة عنه لقيادة الحرب التي أرادها السلطان[48].

وصلت في تلك الأثناء إلى والي بغداد رسائل كثيرة من أهل الأحساء وعشائر المنتفق، تطالبه باطلاق سراح ثويني بن عبد الله أمير المنتفق السابق وإسناد أمر قتال آل سعود إليه. فرأى سليمان باشا أن من الخير له أن يرمي آل سعود بعرب العراق الذين لم يقبلوا بمبادئ الدعوة الوهابية، وفي الوقت ذاته، رأى فيهم قوة أقدر على حرب الصحراء من جنوده. فأفرج سليمان باشا عن ثويني بن عبد الله، نتيجة لذلك، وأسند إليه إمارة المنتفق بدلاً من حمود بن ثامر، وعقد له لواء الحرب ضد آل سعود، ونشط ثويني في جمع جيش كبير من المنتفق وأهل الزبير والبصرة، والعناصر الساخطة من بني خالد، واتجه بهذه القوات صوب الأحساء سنة 1205هـ/ 1791م، والتقى بهم في الحفر، فدارت بينهم معركة قوية؛ انتهت لصالح ابن سعود[49].

كانت هذه الحملة أول صدام مباشر بين آل سعود وبين قوة مكلفة رسمياً من قبل والي بغداد بحربهم[50]. حيث أصبحت القوة السعودية بهذا الانتصار تتحدى ولاة العراق العثماني، وتسيطر على بعض مناطقه، وعلى طريق الحج. ويبين " جون كيليJohn Kelly" الدوافع السعودية للتحرك خارج حدود بلادهم بعد سيطرتهم التامة على الأحساء بالقول: " كان لآل سعود أطماع إقليمية في احتلال المناطق المجاورة لبلادهم، إضافة إلى الحماس الديني الذي كان يدفعهم لنشر مبادئ عقيدتهم، ثم حب السيطرة"[51]. وأعتقد بأن بعض ما ورد في تعليق كيلي، فيه شيء من المبالغة، خاصة وأن ولاة العراق هم الذين كانوا يتحركون بشكل فعلي، باتجاه القضاء على القوة السعودية بأوامر من الدولة العثمانية وليس العكس.

جهز ثويني حملته الثانية ضد الدولة السعودية في أواخر عام 1210هـ/1796م[52] واتجهت في هذه المرة إلى الأحساء وليس إلى نجد كما حدث في الأعوام السابقة، وكان ثويني يظن أن استيلاءه على الأحساء لن يكون صعباً، بما تحويه من عناصر مناوئة وغير راضية عن الحكم السعودي، وقد ضمت حملته زعيمان من زعماء بني خالد، حكام المنطقة سابقاً، هما براك بن عبد المحسن، ومحمد بن عريعر، وكان من السهل إمداد الحملة بحراً عن طريق البصرة والقطيف. ومتى استولى قائد الحملة على الأحساء فإن طريقهُ إلى نجد ستكون سهلة نوعاً ما، لأن الأحساء ستصبح مركز تموين له[53]. وليس من شك في أن هذه العوامل، دفعت بثويني للاتجاه بحملته صوب الأحساء بدلاً من الاتجاه المباشر صوب الدرعية[54]. ومهما يكن من أمر فقد بقيت بعض الأمور التي لم تدخل في حسابات ثويني مشتتة، فمع أن النظرة الأولى إلى الظروف المحيطة بحملته كانت تبعث في نفوس مؤيديها التفاؤل بنجاحها، فإنها لم تخل من حمل بذور فشلها في داخلها، وذلك بسبب التنافس الخفي بين زعيمي بني خالد المرافقين للحملة على رئاسة قبيلتهما مستقبلاً. فقد تبين لبراك بن عبد المحسن أثناء سير الحملة ميل ثويني إلى مساندة

(46) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص57) نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 57033).

(47) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص72). نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 3782).

(48) – العثيمين، تاريخ المملكة العربية، (ص150– 153).

(49) – باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، (ص122)؛ مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى، (ص40).

(50) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص184– 193).

(51) – كيلي، بريطانيا والخليج، (ج1/156).

(52) – للاطلاع على تفاصيل الحملة أنظر: الشياب، الحياة السياسية في العراق في عهد سليمان باشا الكبير، (ص177).

(53) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص185). العثيمين، تاريخ المملكة، (ص155).

(54) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص185).

محمد بن عريعر، وشك أنه قد اتفق معه على أن ينفرد برئاسة بني خالد، وحكم الأحساء بعد الاستيلاء عليها[55].

ناوشت قوات ثويني بعض القوات السعودية المتواجدة في الطريق وانتصرت عليها، فأرسل ثويني إلى والي بغداد يخبره ببداية الانتصارات ويطلب منه المدد لكي يتابع مهمته، فبعث له الوالي جيشاً بقيادة " أحمد آغا ابن العراقي" فسار إلى ثويني حتى جاءه في الجهرا[56]. وعندما اقتربت قوات الحملة العراقية من القوات السعودية المكلفة بصدها؛ اتصل براك بن عبد المحسن سراً بالقائد السعودي " حسن بن مشاري بن سعود" وطلب منه العفو تمهيداً لانضمامه إليه في الوقت المناسب، وقبل أن تدور رحى الحرب بين الطرفين، وثب رجل يدعى بـ "طعيس" أحد عبيد بني خالد، على ثويني بن عبد الله وأرداه قتيلاً في محرم 1211هـ/ تموز 1797م، وكان ذلك الرجل؛ أحد مماليك براك سابقاً، وأحد المتحمسين للدعوة الوهابية[57]. وما كاد نبأ مصرع ثويني وتعيين أخاه ناصر بدلاً منه، ينتشر بين الجنود حتى وقع الاضطراب في صفوف القوات العراقية، واضطرت إلى التراجع والعودة إلى بلادها دون أن تحقق أي هدف من أهدافها المنشودة، واستغلت القوات السعودية هذه الحادثة؛ فطاردت فلول القوات العراقية حتى حدود الكويت، واستولت على كثير من معداتها من المدافع والعتاد، وغنمت غنائم كثيرة خصوصاً أثناء مطاردتها لعشائر المنتقق بالذات[58].

كان لفشل حملة ثويني أثر إيجابي واضح على السعوديين، فقد قويت شوكتهم من جديد وأكدوا تصميمهم على نشر تعاليم الدعوة خارج البلاد النجدية[59]. لذلك جاء الرد السعودي قوياً وشديداً على حملة ثويني، ففي شهر رمضان 1212 هـ/ 1797م، سار الأمير سعود بن عبد العزيز نحو العراق، وتوغل فيها، ودارت معارك شديدة بينه وبين العشائر المتواجدة هناك، وانتصر عليها، حيث قُتل في هذه المعارك زعيم قبائل شمر " مطلق بن محمد الجربا"، ومن ثم عاد لبلاده بغنائم كثيرة[60].

2_ حملة علي باشا كتخدا والي بغداد على السعوديين 1213 هـ/ 1798:

كان لفشل حملة ثويني على الأحساء أثر بالغ على الحكومة في بغداد بشكل خاص والدولة العثمانية بشكل عام. فقد وجه السلطان العثماني أوامره إلى باشا بغداد للاستعداد للقيام بحملة كبيرة ضد السعوديين وغزو عاصمتهم الدرعية؛ بعد فشل الحملة الثانية؛ وهجوم السعوديين على منطقتين عراقيتين هما سوق الشيوخ، والسماوة[61]، ووصولهم إلى قرية أم العباس. وأثناء ذلك؛ كان الضغط السعودي قد بلغ ذروته على الحجاز وبات يهدد الحرمين الشريفين[62].

أعد سليمان باشا الكبير عام1213هـ/ 1798م بناءً على أوامر السلطان العثماني سليم الثالث (1789- 1807) حملة جديدة تقوم على تغيير الإستراتيجية القديمة التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على القوى المحلية إلى اتباع استراتيجية جديدة تعتمد فيها الحملة على الجيش النظامي. وقد كانت هناك مجموعة من الرسائل تم تبادلها بين الإمام سعود بن عبدالعزيز وقائد الحملة ووكيل علي باشا " كتخدا علي باشا" الذي عينه السلطان برتبة سنجق بك/ أي حاكم[63]. ومن هذه الرسائل ما أرسله الأمير سعود يسهب فيها بشرح معنى لا إله إلا الله، وأحال خطابه إلى الحديث النبوي المشهور (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة) وقال له أيضاً: " فإن أردت النجاة وسلامة الملك فأنا أدعوك إلى الإسلام، كما قال ﷺ لهرقل ملك الروم (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)[64].

(55) – العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، (ص62).

(56) – العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، (ص194)؛ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، (ج1/63).

(57) – العثيمين، تاريخ المملكة، (ص155– 156)؛ العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية، (ص63).

(58) – العثيمين، تاريخ المملكة، (ص186)؛ العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية، (ص63).

(59) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص179).

(60) – البصري، مختصر مطالع السعود، (ص63). الوردي، لمحات اجتماعية، (ص185). مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى، (ص40).

(61) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص180).

(62) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص187).

(63) – الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (ص259).

(64) – مجموعة علماء، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا هذا، (ج9/264– 289).

خرجت الحملة العسكرية من بغداد في 6 ذو القعدة 1212هـ/ 22 نيسان 1798م بقيادة علي باشا وكانت تشتمل على حوالي خمسة ألاف من القوات الانكشارية النظامية المدربة، بالإضافة إلى قوات العشائر العربية السنية والكردية وقبائل الشيعة حيث وصلت البصرة في 23 جمادى الثانية 1213هـ/ 2 كانون الأول 1798م حيث أُعيد ترتيب الحملة مرة أخرى حين قسم قائد الحملة قواته إلى قسمين، القسم الأول: كان تحت قيادة قائد الحملة مباشرة، ويسير براً برفقة الإبل التي تحمل الأثقال مع الفرسان، والقسم الثاني: من المشاة والمدفعية الثقيلة وتركب السفن التي أُحضرت والتي اشترت الدولة العثمانية بعضها واستأجرت بعضها الآخر من مناطق الخليج[65].

قد يُستدل من ذلك على مدى النفوذ العثماني في منطقة الخليج على الرغم من عدم تواجده في تلك الأماكن، ويتضح من ذلك مفهوم التبعية السياسية للدولة العثمانية، إذ شارك في هذه الحملة جماعات من جنوب الكويت لموقفهم المعادي من الدولة السعودية من جهة، وخوفهم منها من جهة أخرى، إضافة إلى الولاء الذي يكنه جميع أهالي المنطقة للدولة العثمانية، خاصة وأنها كانت تمثل الخلافة الإسلامية الحامية للإسلام والمسلمين[66].

ما أن وصل علي باشا إلى الأحساء على رأس حملته؛ حتى قام بإرسال الكتب والرسائل إلى وجهاء البلاد وأصحاب النفوذ فيها، وذلك لاستمالتهم إلى جانبه، ثم حاصر حصني المبرز، والهفوف وهما حصنان سعوديان، واستمرت المناوشات بينهم حوالي ثلاثين يوماً، ولكن من دون جدوى، فقد كانت القلاع محصنة وشاهقة الارتفاع، فلم تؤثر فيها طلقات المدافع. وبهذا خابت آمال الجيش العراقي المُحاصِر بما فيهم القبائل العراقية المشاركة في الحملة، وأصابهم شيء من خيبة الأمل أمام صمود هذه الحصون، فأخذوا بالتذمر والتراجع. بالإضافة إلى نفاذ المؤن والماء والعتاد وموت الإبل وإلحاح الجيش بالعودة. كل تلك الأسباب أدت بقائد الحملة إلى ترك الأحساء والتراجع عنها تاركاً أمتعتهُ وأمواله بعد أن أتلف بعضها، غنيمةً للقوات السعودية، ووصل منطقة ماء الشباك، فنزل فيها جيشه حيث أصابهم الإعياء والتعب[67].

ومما يلفت النظر أن قوات آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت إلى الأحساء لنجده حامياتها التي تعرضت لقصف مدفعية علي باشا بشدة، وفي الوقت الذي بدأت الحملة بالعودة، وصل الأمير سعود بن عبد العزيز بجيشه إلى الأحساء. ولما علم بارتحال جيش علي باشا عن الأحساء جد بجيشه في أثرها ونزل بقواته على ماء ثاج، بالقرب من قوات حملة علي باشا حيث بدأت المناوشات بين الطرفين[68].

اشتد القتال بعد ذلك بين الطرفين حتى دبت الفوضى في صفوف القوات السعودية، وأيقنوا أنهم لا قدرة لهم على مواصلة الحرب ضد جيش علي باشا الذي صمم على الصمود حتى النهاية. عندها طلب السعوديون الصلح من قائد الحملة برسالة بعث بها الأمير سعود جاء فيها:" من سعود بن عبد العزيز إلى علي، فقد عرفنا سبب مجيئكم إلى الأحساء وعلى أي منوال جئتم. أما أهل الأحساء فهم أرفاض ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف، وهي قرية الآن ليس داخلة في حكم الروم أي العثمانيين بعيدة منكم ولا يحمل منها شيء يسوي تعبكم. ولو أن جميع الأحساء وما يليها تؤدي لكم دراهماً ما تعادل مصارفكم التي تحملتموها في هذه السفرة ولا كان بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك إلا ثويني فهو كان معتدي ولقي جزاءه. فالآن مأمولنا المصالحة فهي خير لنا ولكم والصلح سيد الأحكام"[69].

يظهر من خلال هذه الرسالة موقع القوة التي يحتلها الأمير سعود في هذه الحرب، فلهجة الخطاب الشديدة التي وجهها إلى قائد الحملة تشير إلى رغبة الأمير سعود بحقن الدماء، وعدم الحاجة إلى الصلح إذا ما أصر الآخرين على القتال، لذلك كتب علي باشا قائد الحملة على الرسالة نفسها رداً [70]. جاء فيه: "من علي باشا إلى سعود بن

(65) – العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية، (ص65).

(66) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص180– 181).

(67) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص181– 182). العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية، (ص65).

(68) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص190– 191).

(69) – البصري، مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمى مطالع السعود بطيب أخبار الوزير داؤد، (ص67– 68)؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، (ص131– 132).

(70) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص193).

عبد العزيز، أما بعد، فقد أتانا كتابك وما ذكرت من أمر المصالحة صار معلومنا، لكن على شروط نذكرها لك، فإن أنت قبلتها وعملت بها، فحسن وإلا فإننا غير عاجزون عنك ولا عن طوائفك بعون الله وقوته. وعندك الخبر الصحيح إذا اشتدت الهيجا، وانشقت العصا، فحسبك السيف المهند، حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك نجوب الفلا ونستأسر أهل القرى، ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة. وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقول ابن عفيصان، إبراهيم بن عفيصان قائد حامية حصن الهفوف، فأما الشرط الأول: هو أن الأحساء لا تقربها بعد ذلك، والثاني الأطواب "المدافع"، التي أُخذت من ثويني أنك ترجعها، والشرط الثالث تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر، والرابع أن لا تتعرّض قافلة الحجاج التي تجيء إليك من العراق، ولا تتعرّض لأبناء السبيل وتكف عن غزوك العراق وتكون معنا كالأول، فهذه الشروط التي أخبرناك بها والسلام على من اتبع الهدى"[71].

يلاحظ من خلال هذه الشروط، أنها تُمثل أمور غير واقعية خاصة وأنها جاءت في ظروف تدهور الحملة وتراجعها. ويظهر أن علي باشا طالب بهذه الشروط ليبرر بها عدة أمور كما يرى المؤرخ عبدالفتاح أبو علية، ومنها: التقليل من حدة الصدمة العثمانية الناتجة عن الموقف العسكري الخاسر للحملة وعودتها إلى العراق دون أن تحقق أهدافها، ليبين للمسؤولين العثمانيين بأن عودته إلى العراق كانت بعد أن اشترط على السعوديين عدة شروط كلها في جانب العثمانيين. وإقناع قواته بأنه لم يُهزم بالرغم من تناقضات الموقف وصعوباته. فهو يرى أنه لم تصطدم قواته بمعارك فاصلة بالقوات السعودية من جهة، كما أنه فرض شروط قاسية على الطرف السعودي من جهة ثانية قبل أن ينسحب من العراق بشكل نهائي[72].

قبل الأمير سعود بالشروط التي يمكنه إنفاذها، وكتب كتاباً آخراً إلى قائد الحملة علي باشا جاء فيه :"جاءنا كتابكم وفهمنا معناه، أما عن حال الشروط المذكورة، فأولاً الأحساء هي قرية بعيدة إلى دياركم وخارجة عن حكم الروم، وما تجازي التعب، ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا فهذا حالها. وأما الأطواب فهي عند والدي بالدرعية، إذ أصدرت إليه أعرض الحال بين يديه. والوزير سليمان باشا أيضاً، يكتب له، فإن صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم وأنا كفيل بها إلى أن أجيبها إلى البصرة. وأما مصارفكم فإني لم أملك من هذا الأمر شيئاً والشورى في يد والدي، والذي عندنا فهو يصلكم. وأما ما ذكرتم عن الطريق وعدم التعرض للحجاج، فمالهم عندنا غير الكرامة والتيسار. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[73].

هكذا يتضح أن الأمير سعود رفض بطريقة لبقة الشرط المتعلق بتخلي آل سعود عن منطقة الأحساء، التي كان انتزاعها منهم أهم أهداف الحملة العثمانية القادمة من العراق. أما الشرطان الثاني والثالث، فترك أمر البت فيهما لأبيه، وهذا يعني أن علياً لم ينل من سعود ما كان يريده بشأنهما. وأما الشرط الرابع، فقد قبل به سعود لأن من الواضح أن القبول به يخدم السعوديين، اعلامياً دينياً واقتصادياً. ذلك أنهم لا يرديون إثارة الرأي العام في الدول والإمارات الاسلامية قاطبة، وسيتمكنون من الاتصال بالحجاج والمسافرين، فينشرون لهم فكرهم، ويتبادلون معهم التجارة والمصالح الاقتصادية الأخرى[74].

اقتنع على باشا، أخيراً، بهذا الرد، فرجع بما بقي من جيشه ودوابه دون أن يحقق الآمال التي عقدها كل من السلطان العثماني ووالي بغداد، ولم يستطيع أن يوقف العمليات السعودية، أو يحد منها[75]. أما الأمير سعود؛ فقد رجع إلى الأحساء ونزل فيها وأخذ يعمل على تصليح ما تهدم من الحصون والثغور، وأقام فيها حوالي شهرين ثم استعمل عليها سليمان بن محمد بن ماجد ثم عاد إلى بلاده[76].

كانت أهم نتائج حملة علي باشا على الأحساء هو فشلها في تحقيق أهدافها في القضاء على المد السعودي الذي يهدد المناطق العراقية ذات التماس مع الدولة السعودية، الأمر الذي يؤثر على أمن وسلامة طريق الحج العراقي المؤدي إلى الديار الحجازية، بالإضافة إلى أن هذا المد أصبح يتزايد وينافس الدولة العثمانية في حكم

(71) – البصري، مختصر مطالع السعود، (ص68– 69)؛ الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص132– 133).

(72) – أبو علية، محاضرات، (ص47– 48).

(73) – العزاوي، تاريخ العراق، (ص132– 133).

(74) – العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، (ص127).

(75) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص192).

(76) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص184).

ولاياتها. وتأتي في المرحلة الثانية الخسائر البشرية التي فُقدت من جراء هذه الحملة، فضلاً عن الخسائر الاقتصادية، وحجم المال الذي صُرف عليها[77].

أما نتائجها على السعوديين، فقد قوّت شوكتهم، واستخفوا بالقوة العراقية العثمانية، إلى حد تجاهلهم شروط الصلح الذي عقد بينهم وبين القوات العراقية فيما بعد، كما أدت إلى تعزيز مكانتهم في المنطقة، وزادت ثقتهم بأنفسهم وبالفكر الذي يدعون إليه[78]. ويظهر أن الباب العالي لم ينظر في البداية إلى الدولة السعودية؛ إلا أنها مشكلة من مشاكل الحدود التي يمكن أن يتركها لباشا بغداد المجاور لمعالجتها، ولم يكن أبعد الناس تصوراً وأدقهم بصيرة يستطيع أن يتكهن بأن الدولة السعودية خلال العشرين سنة الأولى من القرن التاسع عشر ستشكل معضلة كبيرة في وجه سياسة الدولة العثمانية[79].

3_ غزوة كربلاء وما بعدها:

شاعت الأخبار بأن هناك قافلة للسعوديين قادمة من نجد ومحملة بالبضائع كي تبيعها بالعراق. وبالفعل وصلت هذه القافلة إلى العراق وباعت ما لديها من بضائع ثم قفلت راجعة إلى بلادها، وفي طريق عودتها مرت مع فرسانها السعوديين الذين تكفّلوا بحمايتها من مدينة النجف، فاعترض طريقهم جماعة من عشيرة الخزاعل ودارت معركة شديدة بين الطرفين، قُتل فيها من السعوديين ما يقرب من ثلاثمائة رجل بالإضافة إلى قتلى من الطرف الآخر. ونهب الخزاعل ما كان في القافلة من أموال وأحمال، وما عاد من السعوديين إلا من نجا[80].

ما أن علم والي بغداد عن تلك الموقعة رأى أنها نذير شؤم على سير العلاقات بين الطرفين[81]. وهذا ما كان بالفعل، حيث اعتبر الأمير عبدالعزيز آل سعود حادثة النجف خرقاً للعهد، وأرسل إلى والي بغداد يطلب منه ديات القتلى، ويخبره بأنه ألغى ميثاق عدم التعدي، فأرسل الوالي إليه رسول من لدنه هو" عبد العزيز بك الشاوي" ليفاوضه في الأمر، ويعلمه بأن القتلى كانوا من الجانبين، إذ قتل السعوديون من الخزاعل مثلما قتل الحزاعل من السعوديين. ولكن الأمير ضحك عندما كلمه الشاوي بهذا الشأن وقال له:" أما كفى الوزير أننا تاركوه يحكم بغداد؟ والله عن قريب ترى جميع غربي الفرات لنا، وشرقيه له". فكان من نتائج فشل المفاوضة أن صار أتباع الدولة السعودية يظهرون هنا وهناك غرب الفرات فيقطعون الطرق ويغيرون على القرى[82].

وقعت الحادثة الأبرز في 19 ذو الحجة 1216هـ/ 22 نيسان1802م، حين دخلت القوات السعودية مدينة كربلاء وهي إحدى مدن الشيعة المقدسة، كغزاة وكان دخولها في ليلة الغدير وهو عيد من أعياد الشيعة، على حين غرة، وقاموا بهدم القباب، وهدم أعلى قبة الحسين، وقتلت القوات السعودية الذين لجؤوا إلى مشهد الحسين، ولم ينج إلا الذين تمكنوا من الهرب أو الاختفاء، واستولى السعوديون على ما وُجد في مشهد الحسين من مجوهرات ومصاحف ثمينة ومخطوطات وأسلحة[83]. وخرجت القوات السعودية من المدينة وعادت إلى الدرعية بسرعة خوفاً من ملاحقة قوات باشا بغداد لها[84]، ثم قام الأمير سعود بجمع الغنائم وعزل خمسها، وقسم الباقي بين جنوده ثم عاد إلى وطنه[85].

كان لهذه الواقعة صدىً كبيراً في العالم الإسلامي، إذ بدأ الشعور بالكراهية يزداد تجاه دولة آل سعود، وبدأ الخوف يسري في أوصال أهل العراق من هذه الأفعال؛ لا سيما عند أبناء المناطق القريبة سيطرة السعوديين، وخلفت استياءً كبيراً لدى كل من الباب العالي وشاه إيران الذي أعلن الحداد العام في فارس، حيث أقيمت المآتم وعم

(77) – المرجع نفسه، (ص 185).

(78) – المرجع نفسه، (ص185).

(79) – أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (1514– 1914) (ص164).

(80) – الموسوعة العربية العالمية، (ج474/10).

(81) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص216)؛ العمري، غاية المرام، (ص53– 54)؛ كركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، (ص212– 213)؛ الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص186).

(3)– الوردي، لمحات اجتماعية، (ص187– 188).

(82) – الوردي، لمحات اجتماعية، (ص187– 188).

(83) – ابن بشر، عنوان المجد، (ص114– 115)؛ جحاف، حوليات جحاف، (ص775– 776)؛ طعمة، تراث كربلاء، (ص370– 371).

(84) – جحاف، حوليات جحاف، (ص776)؛ كركوكلي، دوحة الوزراء، (ص217).

(85) – ابن بشر، عنوان المجد، (ص115).

لبس السواد، وبسبب ذلك قام الباب العالي بتوجيه والي بغداد من أجل إعداد حملة للقضاء على الدرعية، وبالفعل خرج عسكر من العراق لتتبع جيش السعوديين ولكنه لم يتمكن من اللحاق بهم فقفل راجعاً[86].

ترتب على غزو القوات السعودية لكربلاء عدة نتائج منها: انتشار الرعب في معظم قرى ومدن العراق وخاصة الشيعية منها؛ مما جعل سلطات العراق تنشط في تسوير مدنها خوفاً من غزو سعودي آخر. وهوت هذه الأعمال بسمعة سليمان باشا والي بغداد لدى العاهلين الفارسي والعثماني على السواء وأظهرته بمظهر العاجز عن حماية الأماكن المقدسة التي تقع في نطاق ولايته. وقد هدد شاه إيران بغزو العراق بقصد حماية الأماكن الشيعية المقدسة لدى الفرس، وطلب السماح لقواته بالمرور عبر أراضي العراق لقتال السعوديين، ولكن سليمان باشا رفض ذلك المطلب الفارسي بطريقة لبقة تحسباً لأي رد فعل عثماني ضده اذا ما هو وافق على ذلك[87].

أرسل سليمان باشا رسالة إلى الباب العالي يطلبه فيها بإرسال رسول خاص إلى شاه إيران حتى يقطع الطريق على التدخل المحتمل لفارس[88]. أدت الحملة إلى نقمة الكثيرين من أهالي العراق الشيعة على السعوديين، وعلى الأمير عبد العزيز بن سعود والإصرار على الانتقام منهم، وفعلاً تم اغتيال الأمير عبد العزيز على أيدي أحد العراقيين الشيعة الناقمين على انتهاكات السعوديين في كربلاء، وكان ذلك عام 1803م[89]. ورغم ذلك كان غزو كربلاء بمثابة صدمة كبيرة لسليمان باشا الذي تمتع طوال فترة حكمه بانتصارات حافلة على الثورات الداخلية، الأمر الذي دفعه للذهاب بأفكاره بعيداً، حين فكّر بمراسلة الإنجليز للتضييق على السعوديين من جهة الساحل، وطالب الباب العالي بالسماح له بهذا العمل[90]. إلا أن الباب العالي رفض هذا الطلب، خوفاً مما سيترتب على هذا الأمر لاحقاً[91]، وقد مات سليمان باشا في العام نفسه الذي حدثت فيه هذه الغزوة، ولم يستطع رغم جهوده التي بذلها أن يضع حداً للمد السعودي، الذي بدأ يداهم أطراف بلاده في الفترة الأخيرة من حكمة[92]. بينما بقيت القوات السعودية تهاجم مناطق العراق سنوياً بعد غزوة كربلاء، إلا أنهم لم يتمكنوا من بسط نفوذهم أو السيطرة على أي جزء منها، ويبدو أن الهدف من هذه الغزوات كان إعلان قوتهم الرادعة للقوات العثمانية في العراق، والحصول على الغنائم[93].

أصبح أمر ولاية بغداد، بعد موت سليمان باشا الكبير بيد مساعده علي باشا، وفي عهده نشط الأمير سعود في تنفيذ سياسته للسيطرة على كل ما يقع غربي الفرات. فألح السلطان العثماني سليم الثالث على علي باشا والي بغداد الجديد على ضرورة استئناف الجهود للقضاء على هذا الخطر، وبالفعل تسلم هذا الباشا فرماناً يقضي بتعيينه قائداً عاماً "سر عسكر" لغزو الأراضي السعودية، وتحطيم عاصمتهم الدرعية. لكن هذا الوالي الذي سبق له أن خبر الحرب مع السعوديين في حملة الأحساء المشهورة؛ أسرع بإرسال إيضاحات إلى الباب العالي عن الوضع الراهن آنذاك في بغداد والصعوبات التي تكتنف مثل هذه الحملة التي يطلب منه الباب العالي القيام بها. فلما أصرّ الباب العالي على رأيه أرسل له علي باشا يخبره؛ بأن ما تركه سلفه سليمان باشا غير كافي للصرف على هذه الحرب، وأخبره بضرورة أن تشارك الولايات المجاورة في الحرب ضد الدولة السعودية[94]. لكن سلطات الدولة العثمانية التي كانت على ما يبدو، حتى ذلك الحين تجهل مدى القوة التي أصبح عليها آل سعود، لم تقتنع بإيضاحات علي باشا بل على العكس. فقد أغضبتها تلك الإيضاحات، فأصدرت أمراً نهائياً إلى هذا الباشا بلزوم الامتثال لأوامر السلطان، والمبادرة لغزو نجد والاستيلاء على الدرعية. فما كان من علي باشا إلا أن امتثل لأوامر السلطان، وقام بتجهيز حملة جديدة للقضاء على القوة السعودية، إلا أنهُ لم يصل بحملته هذه إلا إلى حدود جبل شمّر ورجع دون أن يقوم بأي عمل جدي ضد الدرعية. وليس من شك في أن علي باشا بقيامه بهذه الحركات

(86) – نوار، النهضة العربية الحديثة، (ص45)؛ الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص189).

(87) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص195– 196).

(88) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص63). نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 3797 F).

(89) – الشياب، الحياة السياسية في العراق، (ص190– 191).

(90) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص63). نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 3765, 3799).

(91) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص63).

(92) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص196).

(93) – جحاف، حوليات جحاف، (ص776).

(94) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص57). نقلاً عن الأرشيف العثماني (HH 3844).

العسكرية المظهرية، خيب أمل السلطان، وأكد له أن العراق ليس هو القوة القادرة على قمع الدولة السعودية[95]. فقام الباب العالي بمراسلة أحمد باشا الجزار الذي تم تعيينه والياً للشام وسر عسكر الحجاز، يأمره بالسير باتجاه الدرعية بالمشاركة مع والي بغداد، إلا أن أحمد باشا الجزار تذرع بانشغاله في الحرب مع خصمه اللدود عبدالله باشا العظم[96]. وقد وافق الباب العالي على هذا العذر خوفاً من قيام عبدالله باشا من الانضمام إلى قوة آل سعود[97]. كما قام علي باشا بدوره بعد ذلك بمراسلة أحمد باشا الجزار، لكنه لم يحصل منه على أي نوع من المساعدة[98].

مما تقدم نستنتج، أن كل الحملات العسكرية العثمانية القادمة من العراق ضد الدولة السعودية الأولى؛ كانت حملات ضعيفة في التجهيز والأستعداد والتخطيط، لذلك لم تقضِ على القوة السعودية أو حتى وضع حد لها، بل كلفتها تلك الحملات الكثير من الوقت والجهد والمال، عدا عن الخسائر البشرية والمعنوية، ويظهر أن ولاة العراق العثمانيين خبروا القوة السعودية من خلال ساحات القتال، بدليل تلكؤ بعضهم في تسيير الحملات، والطلب من الباب العالي إشراك ولاة الدولة الآخرين في المنطقة بمحاربة السعوديين، ولكنهم أمام اصرار الباب العالي قاموا بهذة الحملات لكي يثبتوا ولائهم للسلطان وأنهم يأتمرون بأمره وينفذون أوامره[99]. كما أن التحركات السعودية ضد العراق استمرت فترة طويلة بلغت حوالي ربع قرن، إلا أن النفوذ السعودي لم يستطيع هو الآخر أن يوطد أركانه في أي جزء من الأراضي العراقية، ولم تستطع الدرعية أن تعين لها عُمالاً في أي بلدة عراقية، أو تقوم بجباية الضرائب في أي منها. ويرجع ذلك إلى ما كانت تتسم به تلك العمليات من سرعة لم تتمكن معها من الاستقرار في إحدى هذه المناطق. هذا بالإضافة إلى أن مبادئ الدعوة لم تلق الرواج والانتشار السريع في العراق كما حدث في الأحساء[100].

بعد فشل ولاة العراق في القضاء على الدولة السعودية، اتجهت أنظار الدولة العثمانية إلى والي مصر محمد علي باشا (1805–1849م)[101]. لكي يقوم بهذه المهمة التي عجز عنها ولاة العراق، حيث تمكن هذا من اسقاط الدرعية عام 1818م، معلناً بذلك انتهاء الدولة السعودية الأولى.

الخاتمة

اتسمت العلاقة بين العراق العثماني والدولة السعودية الأولى بالفتور وعدم الثقة بين الطرفين، ثم تطورت إلى الصدام والحرب في ظل عدد من النقاط الخلافية التي أثارت العداء بين الجانبين. تمكنت القوات السعودية من اجتياح العراق غير مرة، حتى تم لها الوصول إلى كربلاء في غزواتها، الأمر الذي زاد من حنق السياسة الإيرانية والعثمانية على حد سواء، والتصميم على تحطيم الدرعية. وقد أخفق ولاة العراق العثماني في القضاء على القوة السعودية في نجد رغم محاولاتهم المتكررة، الأمر الذي أكد للعثمانيين عجز ولاة بغداد عن تنفيذ هذه المهمة، واثبتت الدراسه سوء تقدير الباب العالي للقوة السعودية، وتخبطها تجاه ما كان يجري، في الوقت الذي استغل فيه السعوديين الأوضاع التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، واتباعهم استراتيجية الحرب الخاطفة. كما توصلت الدراسة إلى أن الدعوة الوهابية رغم انتصارات السعوديين المتكررة، ووصولهم إلى العراق مرات عديدة، إلا انها لم تتمكن من شق طريقها بين العراقيين، وبعد أن أيقنت الدولة العثمانية بأن ولاة بغداد كانوا عاجزين أمام التمدد السعودي، توجهت إلى محمد علي باشا والي مصر للقضاء على الخطر السعودي، حيث نجح في تحقيق ذلك.

المصادر والمراجع

آل عمر، سعد. (2008). الخليج العربي، *تاريخه السياسي وعلاقاته بدول الشرق العربي*. ج1. الدمام: جامعة الدمام.

(95) – عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص196– 201).

(96) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص73). نقلاً عن الأرشيف العثماني (CevdetDahiliye 1924).

(97) – المصدر نفسه، (ص72– 73).

(98) – قورشون، العثمانيون وآل سعود، (ص73). نقلاً عن الأرشيف العثماني (H.H 3817, 3818).

(99) – أبو علية، محاضرات، (ص50).

(100) – عبد الرحمن، عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص 201.

(101)– مانجان، فيلكس، تاريخ الدولة السعودية، ص 155.

الأنصاري، محمد جابر. (1985). *تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (1930م – 1970م)*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

أنيس، محمد. (د.ت). *الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914)*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أوبنهايم، ماكس. (2004). *البدو*. ترجمة: محمود كبيبو. تحقيق: ماجد شبر. لندن: دار الوراق.

باوزير، سعيد. (1954). معالم تاريخ الجزيرة العربية. ط1. مكة: مكتبة الثقافة.

ابن بشر، عثمان النجدي. (1981). *عنوان المجد في تاريخ نجد*. تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ. ط4، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

البصري، عثمان. (1886). *مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمى مطالع السعود بطيب أخبار الوزير داؤد*. بومباي: المطبعة الحسينية.

جارشلي، إسماعيل أوزون. (1985). *أمراء مكة في العهد العثماني*. (ترجمه عن اللغة التركية خليل علي). البصرة: مركز دراسات الخليج العربي.

جب وبون. (1971). *المجتمع الإسلامي والغرب*. ج1. القاهرة: دار المعارف.

جحاف، لطف الله. (1998). *حوليات جحاف*. تحقيق: حسين عبدالله العمري. ط1. دمشق: دار الفكر.

الجميل، سيار. (1997). *تكوين العرب الحديث*. ط1. عمان : دار الشروق

أبو حاكمة، أحمد. (1965). *تاريخ شرقي الجزيرة العربية*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

خزعل، حسين. (1960). *تاريخ الكويت السياسي*. ج1. بيروت: د.ن.

خزعل، حسين. (1968). *حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب*. ط1. بيروت: مطابع دار الكتب.

الخطيب، مصطفى. (1996). *معجم المصطلحات والألقاب التاريخية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن خميس، عبدالله. (1395هـ). الدرعية معالم وأطلال. *مجلة الدارة: الرياض*، (1).

الدامغ، فهد. (1419هـ). *تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى*. ج3. الرياض: إمارة مدينة الرياض.

رافق، عبدالكريم. (1968). *بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516- 1798*. دمشق: د.ن.

الرويشد، عبدالرحمن. (1978). *الوهابية حركة الفكر والدولة الإسلامية*. ط2. القاهرة: دار العلوم.

السباعي، أحمد. (1994). *تاريخ مكة*. ج1. مكة: نادي مكة الثقافي.

سعيد، أمين. (1964). *تاريخ الدولة السعودية*. مج1. بيروت: دار الكاتب العربي.

الشوابكة، أحمد. (1984). *الجامعة الإسلامية*. ط1. الأردن: مكتبة المنار.

الشياب، ابراهيم. (1991). *الحياة السياسية في العراق في عهد سليمان باشا الكبير*، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية، عمان.

طعمة، سليمان. (1983). *تراث كربلاء*. ط2. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ضاهر، محمد كامل. (1993). *الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث*. ط1. بيروت: دار السلام.

عبد الرحمن، عبدالرحيم. (1982). *الدولة السعودية الأولى*. ط4. القاهرة: دار الكتاب العربي.

ابن عبدالوهاب، سليمان بن عبدالله. (1984). *التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب*. ط1. الرياض: دار طيبة.

العثيمين، عبدالله صالح. (1984). *تاريخ المملكة العربية السعودية*. ط1. ج1. الرياض: جامعة الملك سعود.

العثيمين، عبدالله. (د.ت). *الشيخ محمد بن عبدالوهاب*. الرياض: دار العلوم للطباعة.

العثيمين، عبدالله صالح. (1990). *العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت*. الرياض: د.ن.

أبو علية، عبد الفتاح. (1983). *محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى*. الرياض: دار المريخ.

العزاوي، عباس. (1953). *تاريخ العراق بين احتلالين*. ج6. بغداد: منشورات الشريف الرضي.

العمري، ياسين. (1968). *غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام*. بغداد: دار البصري.

عيسى، ابراهيم بن صالح. (1966). *تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (700- 1340 هـ)*. ط1. الرياض: دار اليمامة.

العيسى، محمد. (1995). *الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى*. الرياض: مكتبة العبيكان.

الغرايبة، عبدالكريم. (1987). *تاريخ العرب الحديث*. بيروت: دار الأهلية.

ابن غنام، حسين. (1966). *تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام*. ج2. القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي.

فلبي، سنت جون. (1994). تاريخ نجد. (تعريب عمر الديسراوي). القاهرة: مكتبة مدبولي.

قورشون، زكريا. (2005). *العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني 1745- 1914*. ط1. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

كركوكلي، رسول. (1965). *دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء*. (ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس). بيروت: دار الكتاب العربي.

كيلي، جون. (1979). *بريطانيا والخليج*. ج1. الرياض: وزارة التراث القومي والثقافة.

لونكريك، ستيفن. (2004). أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. بيروت: دار الرافدين.

مانجان، فيلكس. (2005). *تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي*. (ترجمة محمد خير البقاعي). الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

مجموعة علماء. (1995). *الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا هذا*. (جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي). ج9، ق2، كتاب الجهاد وأول حكم المرتد، ط5. الرياض: .

مجهول. (1983). *كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب*، تحقيق: عبدالله العثيمين. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

. المحامي، فريد بك. (1980). *تاريخ الدولة العلية العثمانية*. ط1. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار النفائس.

محمد، فاضل. (1976). *الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره*. ط2. بغداد: دار الحرية للطباعة.

الموسوعة العربية العالمية. (1996). ج2، ط2. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

النبهاني، محمد. (1923). *التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية*. ط2. القاهرة: المطبعة المحمودية.

نوار، عبدالعزيز. (2002). *النهضة العربية الحديثة*. ط1. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

الوردي، علي. (1969). *لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث*. بغداد: مطبعة الإرشاد.

ياغي، اسماعيل. (1978). العلاقات السعودية العراقية، 1920- 1958. *مجلة العلوم الاجتماعية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (2).